لست بصدد البحث عن هذه الحقيقة الجزئية، ولا تشغلني حقوق للأمير ضاعت عليه فلم تكن أمواله سوى ما يقبضه على تأجير جيشه لمن يحتاج الحرب من الدول المجاورة. يقبض على كل رأس. ولكن هذه حكاية أخرى لا تخصني الآن.

توسع أمشل معتمدا على أولاده الذكور وكانوا خمسة، وزعهم على خمسة بلاد. الأكبر ويُدعى أمشل كأبيه، استقر في فرع برلين، والأصغر جاكوب والذي عرف باسم جيمس ذهب إلى باريس، وسولومون الأصغر من أمشل إلى فيينا، وكالمان المعروف باسم كارل إلى نابولي، أما واسطة العقد، الولَد الأذكى ناثان فأوكل إليه أبوه إدارة المركز في المدينة الصاعدة لتحقيق نجمها الإمبريالي، أقصد لندن. لم يتفرق الإخوة رغم توزعهم على البلاد، ولم يرحل أي منهم منشقا على أبيه كما فعل روبنسون كروزو في الرواية المشهورة، بل كانوا كالأصابع الخمس لليد الواحدة، وإن كان علينا لو قبلنا هذا التشبيه أن نتخيل يدا هائلة قابضة، تحمل على كفها عرشا، تمتد بقرض إلى دولة، أو تهز بحركة واحدة استقرار بلد. اخترع أمشل الذي ولد بعد جوته بست سنوات واختار طريقا غير طريقه، مصرفا عابرًا للبلدان عززه أولاده باختراعاتهم المتنوعة. وكانت العلاقة بين الإخوة يحكمها التكامل والكتمان، يتراسلون بالألمانية وهي لغتهم الأم، يستبدلون بحروفها اللاتينية الحروف العبرية، ويستخدمون تعبيرات درجوا على استخدامها فيما بينهم وهم صبية، لا يفهمها سواهم، مضافا إليها ما يؤلفونه من أسماء يطلقونها على السياسيين وقادة الدول، باختصار رسائل مشفّرة تنقل بينهم بسرعة البرق قبل اختراع أجهزة البرق، تستند إلى جهاز متقن قائم على المحطات والمراسلين والحمام الزاجل والقوارب والخيل، وشخص يركض بالرسالة من هنا ليسلمها إلى شخص هناك، يحملها حصان يسبق الريح إلى شاطئ وقارب ينتظر، يقطع القارب المانش في هذا الاتجاه أو ذاك. وهناك دائما من ينتظر في المحطة التالية إلى أن تصل رسالة الأخ إلى أخيه، يفضها ويتصرف. هذا هو تحديدا ما حدث في